الكبيرة الثالثة والستون: (**الطيرة**)، ويحتمل ألا تكون كبيرة.

عن سلمة ابن كهيرٍ عن عيسى بن عاصم عن زرٍ عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الطيرة شرك وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل»، صححه الترمذي.

قال سليمان بن حرب: وما منا هو من كلام ابن مسعود، وقال النبي ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»، صحيح.

(الشرح)

الطيرة هي التشاؤم، والتشاؤم يكون بالطيور ويكون بغيرها لكن لما كان غالب التشاؤم الذي عليه الجاهلية، كان بالطيور بأنواعها، ببعض أنواع الطيور أو بحركات الطيور سنوحها وبروحها، و لما كان هذا الغالب أطلق على كل تشاؤمٍ تطير، لأن الغالب في التطير أو التشاؤم أنه بالطيور، والتشاؤم شرك، وفيه ضرر على قلب الإنسان وإصابته بالوهن، وضعف الدين ورقته وكثرة المخاوف، والمقلقات التي تنتاب القلب، والأضرار الكثيرة التي تلحق الإنسان إذا كان نظرته للأشياء وللأمور بمثل هذه النظرة القاتمة والمظلمة النظرة المتشائمة، ولهذا جاء الإسلام بتحريم التشاؤم والمنع منه، والدعوة إلى أن يكون المسلم صاحب عزيمة وصاحب همة وصاحب إرادة طيبة وإقبال على الخير لا أن يكون مثبطًا، متوانيًا، ومتقاعصًا، متكاسلاً، متشائمًا، إذا وجد فيه التشاؤم وجد فيه الخذلان، والوهن، والكسل، والضعف، إذا كانت هذه نظرته للأشياء، وتنتابه المخاوف في كل وقت في كل حين بهذه النظرة المتشائمة.

والتشاؤم كبيرة وقول المصنف رحمه الله ويحتمل أن لا تكون كبيرة لعل المصنف رحمه الله وضع هذه الاحتمال لاعتبار جانب في التطير يهجم على القلب، هجومًا لا يطلبه الإنسان ولا يقصده، ويسعى في طرده ففي هذا الحد لا يقال عن كبيرة، من هجم عليه هجم على قلبه ثم طرده، ولهذا قال ابن مسعود: وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل، يعني ما منا إلا يدخل على قلبه أحيانًا شيء، لكنه بإيمانه وتوكله وثقته بالله فهذا الحد لا يقال عنه كبيرة، لكن من يطلب التطير ويسعى في طلبه ويذهب يبحث عن الطيور أو الأشياء التي يتطير بها هذا لا شك أنه كبيرة بدون احتمال وبدون تردد، كبيرة قطعًا من كبائر الإثم وهو شرك بالله، لكن

الأمر الآخر الذي هو يهجر على القلب مثل شـيخ أراد أن يسافر فرأي شيئًا أفزعه أو أخافه، وتشـاؤم وخاف أن يحصـل له مثل هذا الأمر، ثم طرده قال: توكلت على الله واستعنت بالله والحافظ هو الله ومشى في طريقه، ما ردته الطيرة ولهذا ورد: «أن الطيرة ما أمضاك أو ردك»، يعني مـا أحـدثـت فيـك تـأثيرًا في سـلوكـك أو علمك أما إذا طردتها، هجمت على قلبك وطردتها فهذه لا تضرك، ولا تكون إثمًا لأنها حديث خطر في نفس الإنسان وطرده الإنسان، لكن إذا فعـل هـذا الأمر ورتـب عليه امتناعًا من عمل أو فعل لعمل بناء على هذا التطير لا شـك أن هذا كبيرة من الكبائر، وأورد حديث بن مسـعود أن النبي ﷺ قال: «الطيرة شركٌ»، ومما يعرف به الأمر أنه كبيرة وصـفه بأنه شرك أو وصفه بأنه كفرٌ، قال: وما منا إلا، يعني إلا ويهجم على قلبه شيء من هذا لكن المسـلم يطرده بتوكله على الله ﷻ، قال: ولكن الله يذهبه بالتوكل، وهذا الذي يهجم على القلب ما يضرـ ولا يؤثر إذا قوامه المسلم، طرده بتوكله على الله ﷻ، التجائه إليه، وإيمانه به، وقوله: «لا عدوى ولا طيرة»، هذا نفي لما عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في العدوى وأنها مؤثرة بنفسها، وكذلك ما هم عليه من التطير بالطيور وأشباهها ونحوها مما كانوا يتطيرون به، هذا كله من الجاهلية التي جاء الإسلام بنفيه وإبطاله.

قال: «وأحب الفأل» قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»، والكلمة الطيبة لها أثر جيد على المسلم، وتبعث فيه التفاؤل، والنشاط، والرغبة ولا تثنيه عن الخير، فكان ﷺ يحب الكلمة الطيبة، يحب الكلمة الطيبة شخص مشى إلى السوق ليبيع تجارة له، معه تجارة يريد أن يبيعها، وهو في طريقة سمع شخصًا يناجي صاحبه قال: يا رابح تعالى، ففرح وتفاءل أنه يربح هذا لا شيء فيه، الكلمة الطيبة كانت تعجب النبي ﷺ أو شخص مريض سمع شخصًا ينادي يا سالم مثلاً وفرح وتفاءل مثل هذا ما يؤثر، هذه كلمة تبعث النشاط بخلاف التطير، التطير إذا وجد يظلم القلب، ويظلم الطريق وتبرد الهمة، ويحصل التواني والكسل، والإحجام وتمرض الإنسان وتمنع من أعمال الخير، أما الكلمة الطيبة فهي لا تضر الإنسان هو ماضٍ فما هو ماضٍ عليه، بل يزداد نشاطًا ورغبةً فكانت الكلمة الطيبة تعجب النبي ﷺ.